

ديوان المراثي

أبا الحسنِ الندوي، والروحُ مثقلٌ
بكلِّ عوادي الحزن والقلبُ يئنُّ
وقد فاضَ دمعِي مِنْ تواصُلِ محنتي
فما أوقفت همي مدامع تذرِفُ
فصرتُ كيانا ضائعاً في متاهة
تَهْبُ عليها الناكباتُ، وتَعْفُ
أرثيك؟ لكنْ مَنْ أعزِّي، وإنني
قصيرٌ مدَى الأشعارِ، والكونُ يَرْجُفُ؟ (١)
ففي الأرضِ من هولِ الفجيعة مائتٌ
تُقيِّمُ به الأحزانُ حَرِّي.. وتعكفُ
مشارق تبكي يَتَمها، ومغاربُ..
وقد غبت عنها، والنوازلُ تقصفُ
وإنك يا ندوي بالحقِّ أمّنة..
إمامٌ جليلٌ، زاهدٌ، متعقِّفٌ..

...

أنتركنا والقدسُ في أسرِ عُصبة
تزعمُها لص.. بغي.. مُزيفٌ
وهذي شعوبُ المسلمين وأرضُها
أباحَ حماها غادر.. مُتصَلِّفٌ
تجبر فيها قادة من صنيعة
إذا وعدوا خانوا، وخابوا، وأخلفوا
وإما اشرأبت للخلاص رقابها
فليس لها إلا حبال وأسياف (٢)
وأهل النفاق النذل سادوا وعربدوا
وهمهم مال، وجنس، وزخرف
سلاحهمو الإفك الكذب، وإنهم..
بكل سلولى المناهج.. أعرف (٣)

إمامُ المس



فقالوا لأضرى القوم في البخل «حاتم»
ومن فاق في قبح الملامح «يوسف»
وقالوا لرأس الجبن إنك «عنتر»
ومن قد عداه الحلم والعفو «أحنف» (٤)
وأن الذي خان القضية «مخلص»
وكل ظلوم فاسد الحكم «مُصِف»
ضمائر من عهن تُباع وتشتري
نمتها قلوب بالردائل عُلف..

●●●

سجلك يا ندوي - بالنور ناطق..
وإن سجّل الآخرين.. تكلفُ
ضربت كما ضرب الكليم، ففجرت
عيون عن السحر الحلال تَكشِفُ (٥)
ومشربها علم غنى يرومه..
وينهل منه الظامىء المتلهفُ
فعين تُروى الروح بالكلم الذى..
يُنقى مداها باليقين.. ويسعف..
وعين لفته صادق.. متسامح
جليل العطايا لم يكن يتعسف
فما كان دين الحق إلا توسطاً
وقصداً، وعدلاً لم يشبه تطرفُ
وعين لدستور الدعاة إلى الهدى
يخط إلى الحق الدروب.. ويُزلفُ
يرد سهام الكائدين لنحرهم..
وفيهم دعي العلم والمتفلسف
وعين لأداب يعز نظيرها..
كمثل ندى الأسحار، بل هي لطف

وعلمتنا أن الفنون رسالة..
من الأفق الأعلى تعب وترشفُ
تشيد وتُعلي في بيان مؤثر..
سمامنه تصوير وفكر وأحرف
تنزه عن لغو يسمى «حدائث»
وما هي إلا فتنة.. وتخلفُ
وأهديت أبناء العروبة - صادقاً -
«روائع إقبال» كما اللحن يُعزف..
وعيبك - يا إقبال - أنك مسلم..
ولو كنت بوذياً.. لهاموا وأزلفوا

●●●

قرأتك يا ندوي بالأمس يافعا..
وكهلاً وشيخاً.. بالمعارف يُشَقِّفُ
وعشتك في سؤال عن العالم الذي
هوى «بانهطاط المسلمين» يُخرفُ
حضارتنا بالأمس قادت مساره
ومن نورها تخزى الشموس وتكسف
فقامت ثقافات، وعمت عدالة
ومنبعها القدسي عُزم ومصحفُ
فلما جفونا شرعنا هان أمرنا..
كأنا غثاء السيل، بل نحن أضعف



شعر: الدكتور

جابر قسيحة

بين أبو الحسن الندوي

وأنا رصدنا لآله جهادنا
لئُقَهَرَ عاد، كافرٌ، متغطرف
وننصر دين الله أنى توجهت
كتائبنا، لا يعترينا تخوف
وكيف نهاب الموت، وهو شهادة
وفينا اشتياق نحوها وتلف
وكل شهيد في الجنان مخلد
يعيشُ نعيما غامراً ليس يُوصف

■ هوامش:

- (١) يرجف: يهتز ويتزلزل.
- (٢) اشرأبت: امتدت وتطلعت.
- (٣) سلولي: نسبة إلى عبدالله بن سلول رأس النفاق.
- (٤) الأحنف بن قيس: أشهر العرب في الحلم.
- (٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ
- أَنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ...﴾.
- (٦) الجلي: الأمر الخطير العظيم.
- (٧) عام الرمادة سنة ١٨ هـ وفيه كانت أشد مجاعة عرفها المسلمون.

وفي أدب الرحلات قدمت رائعاً:
رؤى ودروساً باليقين.. تعرّف
سياحات حق قد طويت بها المدى
من الشرق والغرب البعيد تُطَوّفُ
إلى الله تدعو، والظلام معربد
وكل غويٍّ بالمفاسد يهتفُ
وما كنت إلا أعظما قد تهالك
عليها تجاليد.. براها التطوّفُ
وضمّرها الحزن الأليم.. لأمة
غدت في قيود الجهل والذل ترسفُ
وعشت بقلب ساعر النبض مؤمن
يخيف الأعادي، وهو لا يتخوّفُ
يفيض به الإصرار والحق والسنا
قضى في سبيل الله لا يتوقّف
فكنت رفيع الرأس كالطود شامخاً
وفي كل جلى لم يهن لك موقف (٦)
وآثرت عن دنياك أخرى زهادة
وعشت كفافاً، لم يشدك زُخرفُ
كمثل أبي حفص بعام «رمادة»
يجوع ويمضي للجياح ويغرف (٧)
فما كنت «ياندوي» إلا ببقية
من السلف الميمون للحق تهدف

●●●

أبا الحسن الندوي يلقاك سيدي
«محمد» خير المرسلين... وأشرف
فبأفقه عنا في الجنان رسالة
بأننا - دعاة الحق - لا نتوقف